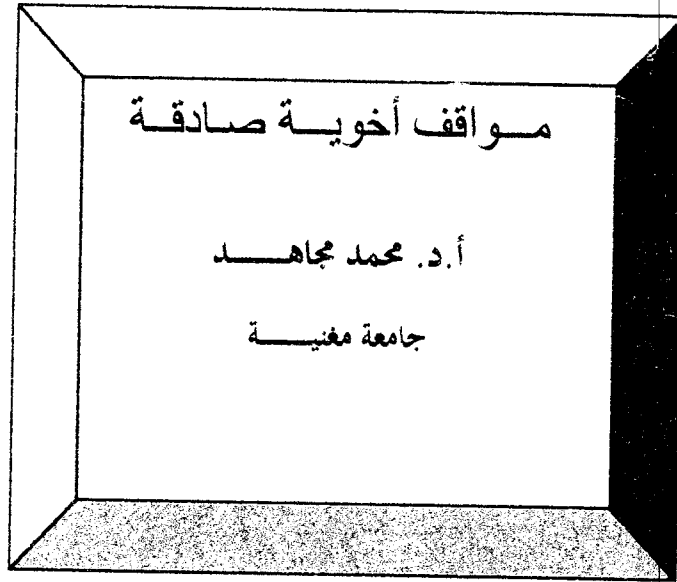




بمناسبة الحفل التكريمي الذي أقامته جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان
للأستاذ الدكتور "رضوان محمد حسين النجار" لتقاعده من التدريس بالجامعة
بناءً على طلبه.

رأيت من واجبي أن أتقدم بكلمة متواضعة في حق أستاذ الجيل وأنا
واحد من هذا الجيل ، خاصة بعد إهدائه لي نسخة من رسالة الدكتوراه التي
نالها من جامعة الأزهر الشريف .

و بعد تصفحها و قراءتها ، كان لزاما عليّ أن أعرف بها غيري ولو بإيجاز شديد بما لها من أهمية علمية بالغة و الموسومة بـ " الشعر في قبيلة عامر بن صعصعة حتى نهاية القرن الأول الهجري " .

هي رسالة مقدمة إلى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراه في الأدب و النقد .

تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود سنة : 1401هـ - 1981م .

و هي رسالة منسوخة و مطبوعة و مجلدة في جزأين و تحتوي على 1085 صفحة . معززة و غنية بالمصادر المخطوطة و المطبوعة والمراجع والمصنفات العربية المجهولة المؤلف والمراجع الحديثة والأجنبية المترجمة والدوريات والخرائط و الصور التوضيحية.

يقع البحث في ثلاثة أبواب رئيسية، يسبقها فصل تمهيدي و يتبعها خاتمة ولحق للبحث .

تناول الباحث في الفصل التمهيدي القبيلة و نسبها و ديارها و حياتها .

أما الأبواب الثلاثة :

فجاء أولها لمسيرة الشعر و الشعراء في القبيلة و هو يتكون من فصلين : أولهما لرواية شعر القبيلة و تدوينه و مصادره .
و ثانيها لشعراء القبيلة .

أما الباب الثاني :

فكان لأغراض الشعر في القبيلة و موضوعاته ، و هو أيضا من فصلين . الأول منها لأغراض الشعر ، والثاني للموضوعات .

أما الباب الثالث :

فكان لتقوم الشعر و نقده ، ويتكون من أربعة فصول :

الأول : سمات الشعر في القبيلة .

الثاني : شعر القبيلة بين التأثير و التأثير .

الثالث : شعر القبيلة بين الطبع و الصنعة .

الرابع : منزلة شعر القبيلة و شعرائها .

يلي هذا كله الخاتمة و قد عرض فيها الصورة الكلية لما انتهت إليه هذه الدراسة و بين فيها ما أمكن التوصل إليه من نتائج و أتبع الدراسة هذه بفهرس للمصادر و المراجع و آخر للموضوعات . أما لحق البحث فجعله ديوانا لشعر القبيلة ، و جمع فيه أشعار العامريين التي لم يسبق لها أن جمعت أو طبعت .

و من خلال تصفحي لهذا البحث الثري و الغني بالمعلومات المعرفية حول هذا البحث ، لاحظت أن الباحث ألم الماما واسعا حول هذه القبيلة و أشعارها، و قد غلب عليه طبعه العربي الإسلامي، فهو يؤثر الطابع العربي الأصيل المتشبع بالعروبة والإسلام الصحيح .

و على هذا الأساس وجدت نفسي أعجز و كدت أتوقف دون الخوض في إتمام الاطلاع على هذه الرسالة ، و الحديث عنها و تناولها بالنقد والملاحظة، ولكن وجدتني أقيب ذلك مرة أخرى من نحو آخر و أتساءل فيما بيني و بين نفسي، هل في وسع الإنسان أن يكتب أو ينتقد أقرب الناس إليه، رحما به وأشدهم توادلا معه قرابة ثلاث عقود من الزمن؟ هل في وسع الإنسان أن يكتب عن أستاذه و مكنونه ؟

و ما عساه أن يقول عنه وعن آثاره العلمية و الثقافية و الأخلاقية ؟ ألا يجد أنه في موقف حرج للغاية، يصعب أن يتفاداه ؟ كانت حراجة الموقف ، لا

تنبع من سعة الموضوع و لكنها تكمن في أننا نخشى أن تغلب علينا ذاتيتنا ، وأن تشد بنا أحوتنا و محبتنا ، وأن يحول التقدير الأستاذي والعلمي بيننا ، وبين موضوعية الحديث عن الرسالة و قيمتها العلمية الواسعة ، أو على النقيض أن يكون الإسراف في التحرر من الذاتية ونشدان الموضوعية سبيلا إلى تغيب بعض الحقائق أو المقومات أو التحاوز عنها أو السكوت عنها ، أو الاجتزاء بطرق منها دون طرف ، إثارا للتواضع و الاحترام الذي أكنه لأستاذي و شيعي ، وبعدا عن الإشادة في مواجهة هذا الموقف ، أو شككت أن أنتهي إلي أن أترك هذه المهمة الصعبة و المخرجة جدا. لولا أني وجدت بعض الزملاء الأساتذة يقومون بمثل هذا العمل و كذلك في بعض الرسائل التي يعدها بعض طلبة الدراسات العليا و ما أكثرهم تحت إشراف أستاذنا الجليل الدكتور رضوان النجار. ما يجلو شخصية الأستاذ الدكتور و سيرته في حياته و أسلوبه في التعليم و التدريس والتوجيه التربوي و المناقشات العلمية المختلفة و المتنوعة .

إنه عسير عليّ أن أعطي هذه الرسالة الضخمة و الثرية و التي تتكون من جزأين كبيرين تتجاوز الصفحات فيهما 1085 صفحة ، مكانها من سبر البيان العربي، ذلك أن الذي يتصفحها و يقرأها، يواجه أسلوبا هو اشد ما تكون الأساليب رصانة، و أقوى ما تكون جزالة، و أقدر ما تكون على الفن والصدق و الصحافة و الدقة في المعالجة .

كان للباحث صفاء البيان و منطقية العرض، و كان في أسلوبه إقتناص من القرآن الكريم - تنوعا و أصالة - استمداده و استلهامه و بحثه و تنقيبه واختياره للمعاني و الألفاظ و الدلالات و الأساليب المتنوعة ، و صنعة اللغة العربية و براعة العرض، و لا غرابة في ذلك و الباحث خريج جامعة الأزهر ، فهو أزهري أصيل علما و ثقافة ، ذلك هو الرجوع إلى الأصالة : الدفاع عن الدين الإسلامي والعروبة و اللغة العربية الفصيحة هي ديدنه و هدفه أينما حل وارتحل، و تتيب ذلك في نفوس الأجيال الصاعدة و ترسيخ الإسلام الحنيف وروحا و عقيدة و نظاما .

ما أكثر ما ترددت في سياقة هذه المداخلة المتواضعة ، و ما أكثر ما فاد التردد إلى إغفال جوانب منه ، لقد قصدت إلى أن يكون حديثا مجردا من غير ذكر للأحداث ولا تسجيل للمواقف ، و أحسبني لا أخالف عن ذلك إذا أنا أشرت إشارة خاطفة إلى الجانب الذاتي الإنساني من حياة الشيخ .

فقد كان أحلى ما عنده و أيسره أن يجاوز ذاته في سبيل رغبات إخوانه، و كان يؤثر أصدقاءه و طلابه بما يختارون لا وفاء لهم فحسب ، بل ولاء كذلك للفكرة التي كانت تجمعهم بهم .

ما تغاضى عن يد امتدت إليه، ولا أشاح بوجه عن طالب علم، ولا
ضن بجاه أو جهد على مستجير، و لا برأي على مستشير، و لا يعون
لصاحب حاجة. كان إذا أعوزه الأمر استعان بمعارف ليفك ضائقة إخوانه، و
كان يتابع حاجات الناس و مشاكلهم حتى تقضى في حدود ما يستطيع .

لقد آثرت أن أتجاوز عن كثير من النقاط حرصا على موضوعية هذه
المدخلية، أو مغالاة في هذا الحرص. إن ذلك يجرد الكلمة في جوها العاطفي
الذي يجب أن يخالطها و أن يغلفها و يحجب كثيرا من الجوانب التي كان عليها
جلاؤها من حياة أستاذنا الكريم و يسكت عن جوانب أخرى و يوجز غيرها .
إن هذه الكلمة ليست إلا وقفنة قصيرة و مجردة، لم أنظر فيها بعين
الطالب و الباحث ، و لا بعين الرفيق و الصديق و الأخ عبر مراحل العمر ، و لا
بالعين التي ينظر فيها الطالب أو المريد إلى الأستاذ و الرائد ، و إنني نظرت بعين
هذا الجيل إلى واحد من كانوا منارة للعلم و الثقافة العربية في جامعتنا ، و خير
ما يصدق في حق أستاذنا و شيخنا المحترم و بناء على ما أسداه لطلبته و ما
قدمه من مؤلفات مميزة و متنوعة .

قول شاعرنا محمد العيد آل خليفة في حق " عيون البصائر "
لسان حال جمعية العلماء المسلمين على بحر الطويل - أطال الله الصمد
أعمار الجميع - :

كتاب لمن أملاه بالعلم يشهد يطالعنا بالعود و العود أحمد
يتوجه باسم الإله وحمده نصير لمن يدعو إليه مؤيد
لقد كان للفصحى أباه وأمهها و مرجعها إن ند أو شذ مغرد
لقد زرعوا زرعاً فأخرج شطأه كأخصب محصول لمن هب يحصد
وأبقوه للأجيال ذخراً مباركاً و زاداً من الذكرى لمن يتزود

